جَدّتِي والشّاطِرُ حسن

(الجُزْء الثاني)

جَدَّتِي عِنْد غِيَابِ الشَّمْسِ، تَلُفُّ غُرَفَ الْمَنْزِلِ غُرْفَةً غُرْفَةً، تَتَأَكَّدُ مِنْ إحْكَامِ غَلْقِنا لِمَصَابِيحِهَا، وَنَحْنُ فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ نُسْرِعُ فِي لَمْلَمَةِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَوْرَاقٍ خَلَّفْناها مِنْ لَعِبِنا، حَتَّى تَسْتَرِيحَ جَدّتُنَا وتروي لَنَا مُغامَرَةً مِن مُغامَرَاتِ الشَّاطِرِ حَسَن.

نَتَحَلَّقُ حَوْلَهَا وَكَأَنَّهَا مَلْكَةُ النَّحْلِ، وَنَحْنُ الْخَدَمُ، وَنُقَلِّدُ طَنِينَ النَّحْلِ زززززز فِي إلْحَاحِنَا عَلَى جَدَّتِنَا: يَا جَدَّتِي احْكِي لَنَا، قَد وَصَلْنَا مَعَكِ لِبُلُوغِ الشَاطِرِ حَسَن أَشُدَّهُ، ورِحْلَتِه فِي بِلَادِ اللهِ.

تَبْدَأُ الْجَدَّةُ حَدِيثَهَا بِأَطْيَبِ الْكَلَامِ وأَعْسَلِهِ، ثُمَّ تَدْخُلُ فِي قِصَّتِنَا وَتَقُولُ: ظَلَّ الشَّاطِرُ حَسَن مُتَحَيِّرًا، أَصْبَحَ فِي يَدِهِ أَمَانَةَ إرْثِ أَبِيهِ، نَصِيبِه هُو وَأُخْتُه، وَقَلْبُه يَتَوجَّسُ خِيفَةً، أَنْ لَا يُوَفَّقَ فِي تِجَارَتِه، وَأَنْ يَرْجِعَ مِنْ رِحْلَتِه خَائِبًا.

فَتَذَكَّرَ كَلِمَاتِ أُخْتِهِ الطَّيِّبَةِ بِأَنْ يَثِقَ فِي اللهَّ، وَتَذَكَّرَ عُيُونَهَا الْمُمْتَلِئَةِ بِالْأَمَلِ، فَرَاحَ عَنْهُ الْخَوْفُ، وَفَكَّرَ: مَاذَا يَشْتَرِي مِنْ بَلْدَتِهِ مِمَّا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبِيعَهُ وَيَرْبَحَ فِي بِلَادِ اللهَّ الْأُخْرَى؟ فَتَذَكَّرَ عَبِيرَ الزُّهُورِ الْبَنَفْسَجِيَّةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي كَانَتْ تَضَعُهَا أُخْتُهُ فِي خُصْلَاتِ شَعْرِهَا، وَقَالَ: سَأُتَاجِرُ فِي الْعُطُورِ.

الشَّاطِرُ حَسَن يَصْنَعُ عُطُورًا زَكِيَّةً

جَمَعَ الشَّاطِرُ حَسَن الْأَزْهَارَ مِن حَدَائِقِ الْفَلَّاحِين وَظَلَّ يَعْصِرُهَا، وَيَضَعُهَا فِي قَوَارِيرَ مُلَوَّنَةٍ بِأَلْوَانٍ زَاهِيَةٍ، وَاسْتَأْجَرَ سَفِينَةً، وأَبْحَرَ إِلَى بِلَادٍ لَمْ تَعْرِف العِطْرَ بَعْد، ومَا أَنْ رَسَتْ سَفِينَةُ الشَّاطِرِ حَسَنْ حَتَّى تَجَمَّعَ عَلَيْهَا سُكَّانُ تِلْكَ الْبِلَادِ، لَا يَدْرُونَ مَا الَّذِي يَجْذِبُهُم؟

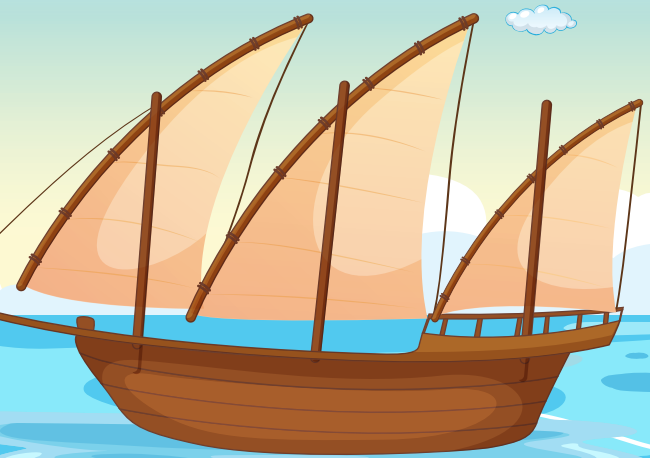

هَلْ هُوَ لَوْنُ الشَّاطِرِ حَسَن؟ حَيْثُ كَانَ لَوْنُه بِلَوْن الْقَمْحِ، وَهُمْ كَانَت بَشَرَتُهم حَمْرَاءَ، أَمْ شَعْرُهُ الْأَسْوَدُ؟ حَيْثُ كَانَت شُعُورُهُم صَفْرَاءَ، أَمْ مَلَابِسُهُ الْأَنِيقَةُ؟ حَيْثُ كَانُوا لَا يَهْتَمُّون بالْهِنْدَامِ، أَمِ العِطْرُ الَّذِي يَفُوحُ مِن سَفِينَتِهِ؟

يبكي كُلُّ طِفْلٍ لِأُمِّهِ كَي تَشْتَرِيَ لَهُ قَارُورَةً مُلَوَّنَةً تَفُوحُ مِنْهَا الرَّائِحَةُ الزَّكِيَّةُ، وَكُلُّ أُنْثَى تَطْلُبُ مِنْ أَبِيهَا أَنْ يُحْضِرَ لَهَا قَارُورَةً مِنْ هَذَا الشَّابِّ، وَكُلُّ امْرَأَةٍ تَطْلُبُ مِنْ زَوْجِهَا قَارُورَةَ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ، الَّذِي رَسَى بسَفِينَتِهِ عَلَى شَوَاطِئِهِم، وَالرِّجَالُ تُرِيدُ أَنْ تَتَزَوَّدَ بعِطْرِ تِلْكَ الْقَوَارِيرِ الْعَجِيبَةِ.

الشَّاطِرُ حَسَن لَا يَمْلِكُ الْآنَ مِن الْقَوَارِيرِ شَيْئًا، الْبَلَدُ بِأَكْمَلِهَا اشْتَرَتْ كُلَّ الْبِضَاعَةِ، ومُلِأَتْ لَهُ سَفِينَتُهُ بِنَبَاتِ الْجَوْزِ لِأَنَّهُ كَانَ الْمُفَضَّلَ عِنْدَهُم.

فَفَكَّرَ الشَّاطِرُ حَسَن كَيْف يَربَحُ مِنْ هَذَا النَّبَاتِ؟ وَهَل سَيُحَقِّقُ حُلْمَهُ نَبَاتُ الْجَوْزِ؟ أَنْ يَشْتَرِيَ لِأُخْتِهِ قَصْرًا كَقَصْرِ بِنْتِ السُّلْطَان؟ هَذَا مَا سَنَعْرِفُهُ غَدًا عِنْدَمَا تَمْلأُ الشَّمْسُ بِأَشِعَّتِهَا الحُجُرَاتِ، وَتَصِيحُ الدِّيُوكُ جَمِيلَ الصَّيْحَاتِ.

نَصْرُخُ جَمِيعًا أَكْمِلِي يَا جَدَّتَنَا الطَّيِّبَةُ، فَتَضْحَكُ جَدَّتِي حَتَى تَظْهَرَ جَمِيعُ أَسْنَانِهَا الصَّغِيرَةِ، بِضِحْكَتِهَا الْجَمِيلَةُ.

وتَسْأَلُ الأَسْئِلَةَ:

١ – ما سبب خوف الشاطر حسن؟

٢ – صف الشاطر حسن؟

٣ – لماذا اختار الشاطر حسن الزهرة البنفسجية؟

٤ – ما السبب الحقيقي وراء انجذاب أهل المدينة للسفينة؟

٥ – ما النبات الذي ملأ به سكان المدينة سفينة الشاطر حسن؟

استمع للقصة